ملوك مصر القدماء

المكسوس

وصلنا في الجزء السابق الى الكلام على ملوك الرعاة واجتزنا عنهُ بما اثبتهُ صديقنا الفاضل جورجي افندي بني الطرابلسي في ذلك الجزء وما قبلهُ لا سيما وانهُ ذكر اشهر الآراء التي ارتآها العلماء الباحثون في اصل الرعاة وذهب مذهباً لا يعدم من التاريخ والآثار سنداً قوياً وعزرهُ بادلة كثيرة شأن الباحثين المدققين . ثم رأينا ان نذكر هنا ما عُرف حتى الآن من آثار هؤلاء الملوك وما جاء عنهم في التواريخ القديمة واشهر ذلك ما كتبهُ يوسيفوس المؤرخ اليهودي نقلاً عن منيثو المؤرخ المصري . فان يوسيفوس بحث عن قِدَم امَّة اليهود وزعم ان ملوك الرعاة منهم واضطرَّ تأييداً لزعمهِ ان يقتبس ما ذكرهُ منيثو عنهم ولولا ذلك لضاع مع ما ضاع من تاريخ منيثو . قال ما ترجمتهُ

اني ابتدئ (تأييداً لزعمهِ) بما كتبهُ المصريون لا ما كُتب باللغة المصرية لان ذلك متعذِّر عليَّ ولكن منيثو كان رجلاً مصرياً واتقن اليونانيَّة وتخرَّج في علومها وآدابها كما لا يخفى وكتب تاريخاً لبلادهِ باليونانية ترجمهُ اليها من السجلاَّت المقدَّسة وانتقد هيرودوتس وخطَّأ اخبارهُ عن المصريين . ومنيثو هذا كتب عنَّا في الكتاب الثاني من تاريخهِ ما يأتي . واقتبس كلامهُ بالحرف الواحد شهادة لي قال "كان لنا ملك اسمهُ تيماوس حدث في عهدهِ لسبب لا اعلمهُ ان الله غضب علينا فجأةً فاتى اناس اديانهم الاصل من الجهات الشرقية حملتهم الحمة على اجتياح بلادنا فتغلبوا عليها بقوتهم من غير قتال ولما تسلطوا على حكامنا حرقوا مدننا وخرَّبوا هياكل الآلهة واتخذوا في السكان فقتلوا البعض وسبوا النساء والاولاد . واخيراً اقاموا واحداً منهم ملكاً وكان اسمهُ سلاتس فاقام في منف وجبى الجزية من الوجهين القبلي والبحري واقام الحامية في الاماكن الصالحة لاقامتها وعزَّز الجهات الشرقية بالحصون خاصَّة لانهُ علم ان الاشوريين الذين كانت لهم السطوة العظمى حينئذٍ يطمعون ببلادهِ ويغزونها . ووجد في عمل سايس (ما الخجر) مدينة توافق غرضهُ (شرقي فرع النيل بقرب بوبسطس وقد سميت أوَاريس لاسباب دينية) فرممها وقوَّاها بالاسوار التي بناها حولها وبحامية كبيرة من مئتين واربعين الف محارب اقامهم فيها لحمايتها . وكان يمضي الى هناك كل سنة في فصل الصيف لكي يجمع فيها حنطتهُ ويعطي جنودهُ علوفتهم ولكي يمرِّن رجالهُ على القتال حتى يخشاهم الغرباء. ومات بعد ان حكم تسع عشرة سنة وخلفهُ ملك اسمهُ بيون اربعاً واربعين سنة وخلفهُ

آخر اسمهُ بحدس ستٌّ وثلاثين سنة وسبعة اشهر وحللهُ ابوفس احدى وستين سنة ثم يانياس خمسين سنة وشهرٌ وجاء بعدهم كلهم امنيس وحكم تسعًا واربعين سنة وشهرين "

" هؤلاء الملوك الستة هم اول الملوك الذين كانوا يحاربون المصريين دائمًا ويترجَّون استئصال مصر . ويقال لجملتهم الهكسوس اي ملوك الرعاة لان هكس باللسان المقدَّس تدلُّ على ملك وسوس على راعي وعلى رعاة في اللسان العامي ومنهم التأمت كلة هكسوس ولكن البعض يقولون ان هؤلاء الاقوام من العرب " . وقال في نسخة أُخرى " ان هك لا تعني ملوكًا بل رعاة اسرى لان هيك في اللسان المصري وهك بالفتح تعني اسرى" وعندي ان هذا هو المعنى الارجح والاقرب الى التاريخ القديم . ثم قال منيثو " وهؤلاء الناس من الذين سمَّيناهم ملوكًا ابناء الذين يدعون رعاة ونسلهم ملكوا مصر خمس مئة واحدى عشرة سنة ثم عصى ملوك طيبة وسائر القطر المصري على الرعاة ونشبت بينهم حرب طويلة وقُهر الرعاة في ايام ملك اسمهُ السفراغموثوسس [1] وطردوا من بلاد مصر وحُصروا في مكان مساحتهُ عشرة آلاف فدان اسمهُ اوارس " ثم قال منيثو "وبنى الرعاة سورًا حصينًا حول هذا المكان ليحفظوا فيهِ مقتنياتهم وغنائمهم ولكن ثوتموسس بن السفراغموثوسس حاول حصرهم للتغلُّب عليهم فاحدق باسوارهم باربعمئة وثمانين الفًا من رجالهِ ولما يئس من اخذ المكان بالحصار اتفق معهم على ان يخرجوا من مصر آمنين ويذهبوا حيثما شاؤا وعلى هذه الشروط خرجوا بعيالهم ومقتنياتهم ولم يكونوا اقل من مئتين واربعين الفًا وساروا في القفر من مصر الى سورية . وكانوا يخافون من الاشوريين الذين كانوا متسلطين على آسيا فبنوا في البلاد التي تُسمَّى الآن باليهودية مدينة كبيرة تسع ذلك الجم الغفير وسمَّوها هيروسوليما "

وكلام يوسيفوس طويل في هذا الشان وما نقلهُ عن منيثو ليس بالشيء القليل ولكننا نجتزي عنهُ الآن بما تقدم وسنعود اليهِ وانى ما نقلهُ مؤرخو العرب وخبطوا فيهِ خبط عشواء

وقال ابو الفرج ابن العبري في تاريخهِ السرياني المشهور " ان الملك الرابع من الرعاة واسمهُ اباوس ملك اربع عشرة سنة وهو الملك الذي حلم الاحلام وسلط يوسف على البلاد حسب كتبهُ الكلدانيون ويظهر ان هؤلاء الملوك سُمُّوا ملوك الرعاة بسبب اخوة يوسف " ومعلوم ان ابا الفرج كتب منذ نحو سبع مئة سنة وقال انهُ نقل ما كتبهُ عن الكلدان فلا يبعد انهُ كان عندهم تواريخ ناطقة بذلك ولكن لم يصل الينا منها شيء

(1) كذا ضبطناهُ في ترجمة يوسفوس وفي النسخة الحديثة التي نقلها لندن وضعت سنة ١٨٦٠ ولكنهُ ضبط في تاريخ بنري الذي طبع سنة ١٨٦٧ مسفراغموثوسس

وخلاصة ما اتصل اليه اهل البحث في هذا الشان ان حالة البلاد ساءت في عهد الدولة الرابعة عشرة فهتك سترها وعجزت عن صد الغرباء الطامعين بها فدخلوها وانتشروا فيها ونهبوا مدنها وتسلطوا على حكامها ولم يمض عليهم مئة عام حتى اقتبسوا اساليب الحضارة المصرية ولعلَّ ذلك كان من اختلاطهم بالمصريين وتزوجهم منهم . ثم انشأوا دولة على نسق الدول المصرية واقتبسوا عادات البلاد وابقوا حكامها في مناصبهم ليسهل خضوع الناس لهم. وقد ذكر اسماء ستة من الملوك الذين نشأوا في هذه المدة على ما تقدم وهم سلاتس الذي جدَّد بناء هوار ولعلها تانيس وجعلها حصنًا لهُ وابقى منف عاصمة المملكة وملك ١٩ سنة وخلفهُ بيون وملك ٤٤ سنة وخلفهُ اپخناس (يخنان) وملك ٣٦ سنة وسبعة اشهر وخلفهُ اپوفس وملك ٦١ سنة ثم پانياس (سيتوس) وملك خمسين سنة وشهرًا ثم اسپس وملك ٤٩ سنة وشهرين. وذكر افريقانوس المؤرخ اسماء هؤلاء الملوك ولكنهُ حذف الاخيرين وذكر اسم ستان بعد يخنان وقال انهُ ملك ٥٠ سنة وارخاس وقال انهُ ملك ٤٩ سنة

واستتبَّ الملك للهكسوس ٥١١ سنة ثم عصي عليهم اهالي طيبة وطردوهم من البلاد كما تقدَّم وحصروهم في مدينة تانيس وكان يقود المصريين رجل اسمهُ احمس واخيرًا اضطرهم الملك تحتمس الاول حفيد احمس ان يعودوا الى سورية فسكنوا في البلاد الجبلية التي اتوا منها او مرُّوا بها وهم آتون الى مصر وسيأتي تفصيل ذلك في الكلام على الدولة السابعة عشرة والثامنة عشرة

وقد كتب الكتَّاب كثيرًا عن اصل الهكسوس كما رأيت في مقالة صديقنا جرجي افندي بني ولكن الامور المحققة من ذلك قليلة جدًّا . وصور ملوك الهكسوس على تماثيلهم تدلُّ على انهم يشبهون العرب في ملامح وجوههم ولكن لا دليل على ان هذه التماثيل من عهدهم اذ يحتمل انها صنعت قبل ايامهم وهم نقشوا اسماءهم عليها لا سيما وان اسماءهم غير منقوشة في الاماكن التي ينقش فيها الملوك اسماءهم على تماثيلهم عادةً . اما الزمن الذي صُنعت فيهِ فالمظنون انهُ بين ايام الدولة الثامنة والعاشرة حين غزت مصر امم اخرى وابقت فيها آثارها ومنها تمثال الملك خيان الذي ظُنَّ حين اكتشافهِ انهُ تمثال الريان بن الوليد ثم اتضح ان اسمهُ خيان وانهُ اقدم من عهد الرعاة . فالاعتماد على ملامح الوجه في التماثيل المنسوبة الى الرعاة ضعيف جدًّا اذ يشكُّ في انهم صنعوا تلك التماثيل

بقي امر آخر وهو اسماء ملوك الهكسوس فقد قال بتري ان اللفظ اليوناني لبعضها يلمح الى الصفة كالمتسلط والحاكم والظالم والثابت دلالة على ان اصل الشعب سامي لان الساميين يجرون على ذلك في تسمية ملوكهم

والآثار المكشوفة من عهد الهكسوس حقيقة هي من ايام ملكين منهم ايبا الاول وايبا الثاني فآثار الاول كتابات في بوبستس (تل بسطة) وختم وجد في الكاهون وكتابات في الجبلين ودرج حسابي وجعلان مختلفة. فالكتابات التي في بوبستس اكتشفها المسيو نقيل وفيها اسم ايبا منقوشاً على الغرانيت الاحمر ويقال فيها انهُ اقام عمداً كثيرة وضع باباً من نحاس لذلك الاله. وقد سمي ايبا ولقب رع آوسر. والختم الذي وُجد في الكاهون وجدهُ الاستاذ بتري وعليهِ لقب هذا الملك او اسمهُ الملكي وقد يكون لرجل آخر سمي باسمهِ. وآثار الجبلين عثر عليها ختم هذا الملك وفيهِ لقبهُ رع آوسروفد وصف بالاله الحي الصالح. ويستدل من وجود هذا الاسم هناك ان سلطة ايبا شملت الوجه القبلي مع الوجه البحري كما قال منيثو. والدَّرج الحسابي كتب في السنة الثلاثين من ملك ايبا وهو الآن في دار التحف البريطانية وسيأتي الكلام عليهِ. والجعلان كثيرة وعليها لقب هذا الملك لا اسمهُ

وآثار ايبا الثاني اشهرها تمثالا مرماشو في تنيس (ومرماشو هذا هو الملك السابع عشر من الدولة الثالثة عشرة) وقد نقش ايبا عليهما ما ترجمتهُ "الاله الصالح رع آ كان ابن الشمس ايبا واهب الحياة حبيب ست". ووُجد في القاهرة مذبح من الغرانيت الاسود عليهِ لقب هذا الملك وهو محفوظ الآن في متحف الجيزة ولعل اصلهُ من خرائب منف. وفي اللوفر تمثال اصلهُ لايبا ثم اختلسهُ المحوتب الثالث

ومن الآثار التي يظن انها من عهد الهكسوس مسلة في تنيس عليها اسم الملك رع آمح وهذا الاسم غير معروف ولكنهُ يشبه الاسمين المتقدمين

مدفن امنوفس الثاني والمخبأ الملكي

من خطبة للسير لوريه مدير عموم الآثار المصرية سابقاً في مجلس المعارف المصري
وترجمها الى العربية ليس افندي اكليمس

لما كنت اتلي على مسامع هذا المجلس خبر اكتشاف مدفن تحتمس الثالث منذ شهرين كانت عمليات الحفر جارية في جهة اخرى من ببيان الملوك تجاه مدفن رعمسيس الثالث. ولما عدت الى طيبة باشرت ادارة الاعمال بنفسي فعثرت على مدفن جديد في التاسع من شهر مارس الماضي. والآثار القليلة التي عثرت عليها ولاَّ جعلتني اتردد بين حسبان ذلك المدفن لتحتمس الاول او تحتمس الثاني او امنوفس الثاني من الدولة الثامنة عشرة. لكني اهتديت في ما بعد